

تطور معاني الألفاظ بين معجم الدوحة ومعجم الشارقة

The Evolution of Word Meanings Between the Doha Dictionary and the Sharjah Dictionary

الأستاذة الدكتورة حليلة أحمد عبد السلام الخيروي

جامعة عبد المالك السعدي، المغرب

الملخص

تناول يهدف هذا البحث إلى عقد دراسة مقارنة بين معجم الدوحة التاريخي للغة العربية ومعجم الشارقة؛ وذلك من خلال الوقوف على نماذج لتطور معاني الألفاظ عند كل من المعجمين، ورصد الجهود المبذولة منهما للتأريخ الدقيق لهذه الدلالات. ويكتسي هذا البحث أهمية في حقل الدراسات اللغوية لما حققه كلا المعجمين من تقدم وريادة واسعين؛ خاصة وأن عدد مستعمليهما في تصاعد مستمر، وكذا البحوث المنجزة حولهما. ولما كان الهدف الأسمى لهذين المعجمين معاً هو التأريخ للتطور الدلالي للألفاظ، ارتأيت أن يكون المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج المقارن بالدرجة الأولى، مع الاستعانة بالوصف والتحليل والتصنيف كذلك. أما مصادر البحث ومراجعته فهي متنوعة تتأرجح بين القديم والحديث؛ وبخاصة في الجانب النظري من هذه الدراسة، أما الجانب التطبيقي فسندته هو الموقع الإلكتروني لكل من معجم الدوحة ومعجم الشارقة. وأما الدراسات السابقة المقارنة بين هذين المعجمين؛ فلم يسبق أن وقفت على إحداها ماعدا مقالا لي بعنوان "قوانين التطور اللغوي: نماذج من معجم الدوحة التاريخي"¹.

الكلمات المفتاحية: تطور معاني الألفاظ، مقارنة، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، معجم الشارقة

Abstract

This research aims to conduct a comparative study between the Doha Historical Dictionary of the Arabic Language and the Sharjah Dictionary; This is done by standing on examples of the development of the meanings of words for each of the two lexicons, and monitoring the efforts made by them to accurately date these connotations. The approach used in this study is primarily comparative, with the use of description, analysis and classification as well. As for the sources and references of the research, they are diverse, oscillating between old and new. Especially in the theoretical side of this study, as for the applied side, its support is the website of both the Doha and Sharjah dictionary.

Keywords: The Evolution of Word Meanings , A Comparison, The Doha Historical Dictionary of The Arabic Language, The Sharjah Dictionary

أولاً: مدخل

كثيراً ما نادى أهل المعجم العربي بأن يكون للغة العربية الفصحى معجم تاريخي إسوةً بغيرها من اللغات كالألمانية والفرنسية والعربية والإنجليزية والإسبانية والروسية.

والواقع أن العرب – على الرغم من عنايتهم الواسعة بلغتهم – لم يكن لهم اهتمام بالمعجم التاريخي قديماً لجملة من الأسباب، أهمها ثلاثة:

– اعتقاد عدد كبير من علماء العربية أن اللغة العربية توقيف وإلهام، وليست لغةً قائمةً على المواضعة بين البشر ليتدخلوا فيها.

– جزم الكثيرين من أعلام العربية أن التطور اللغوي ناشئ عن مؤثرات خارجية هي اختلاط اللغة بغيرها، وليس أمراً كامناً في أنظمة اللغة نفسها، وأن انعزال اللغة يحميها من التطور.

– اعتبار تطور اللغة فساداً فيها، وليس أمراً طبيعياً لا بد منه، وقد أدى هذا الموقف الصفائي إلى صرف الاهتمام إلى اللغة الفصيحة الصافية، وإلى اعتبار أن ما تغير يجب أن يبقى خارج اللغة².

ولم يلتفت العرب جهة التأريخ لألفاظ العربية إلا بعد أن صدرت الأجزاء الأولى من (المعجم التاريخي الألماني) للأخوين غريم (Grimm)، فكان هذا الحدث نقطة الانطلاق في مسيرة المعجم التاريخي للغة العربية.

وأهم تلك الجهود ما أسهم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة بزعامة أبرز أعضائه المستشرق الألماني أوغست فيشر August Fischer (ت1949م) سنة 1936، الذي رحل عن هذه الدنيا ولم يكن قد أنجز من عمله سوى مقدمة المشروع والمواد من أول حرف الهمزة إلى كلمة (أبد).

ويلي هذا العمل أهمية المشروع التونسي للمعجم التاريخي العربي بمبادرة من كلية الآداب بتونس، ومركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، وجمعية المعجمية العربية سنة 1990، لكن سرعان ما توقف هذا المشروع بسبب ضعف التمويل وأسباب أخرى³.

ويأتي بعد ذلك مجهود كليل بالنجاح؛ وهو مجهود اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية؛ ونقصد بذلك مجامع دمشق والقاهرة وبغداد وعمّان والرباط والخرطوم والجزائر والقدس وطرابلس الغرب والشارقة؛ فلقد وافق هذا الاتحاد على اقتراح تقدمت به مجامع بغداد ودمشق وعمّان سنة 1998 بتبني مشروع إعداد المعجم اللغوي التاريخي؛ فبدأت الاجتماعات سنة 2004، وعُقدت عدة مؤتمرات حول المشروع سنة 2006.

وقد تكفل مجمع الشارقة للغة العربية برعاية سمو الشيخ سلطان القاسمي –حاكم الشارقة– بكل المتطلبات العلمية والمادية للمشروع؛ فأقام سموه داراً فاخرةً لاتحاد الجامعات اللغوية العربية، مزوداً بأجهزة العمل، بمدينة السادس من أكتوبر، الضاحية الجنوبية لمدينة القاهرة؛ على أن يكون الجانب العلمي والإشرافي في القاهرة، والجانب التنفيذي والمالي في مجمع الشارقة⁴. فكانت الانطلاقة الحقيقية لهذا المعجم بداية يناير 2020⁵.

وإلى جانب معجم الشارقة، خرج إلى الوجود معجم الدوحة التاريخي للغة العربية؛ فكانت انطلاقته شهر ماي 2013، حيث أُنجزت المرحلة الأولى منه الممتدة منذ أقدم نص عربي موثق إلى نصوص العام 200 للهجرة، وقد تضمنت هذه المرحلة مئة ألف مدخل معجمي. كما أُنجزت المرحلة الثانية الممتدة إلى عام 500 للهجرة، وتم الشروع منذ بضعة أشهر في المرحلة الثالثة.

والتأمل في المعجمين الأخيرين، يجد بينهما تشابهاً كبيراً من حيث الخطة والأهداف وطريقة الاشتغال، لكن التمعن البصير يكشف عن بعض الفروق الجوهرية من حيث التصور والمنهج في تتبع التطور الدلالي للألفاظ؛ وذلك ما سنلاحظه بعد حين.

ثانياً: التطور الدلالي للألفاظ

1 - عوامل التطور الدلالي⁶:

تتطور دلالة الكلمة نتيجة أسباب عدة، أهمها:

أ- عوامل مقصودة:

من ذلك ما تعتمد إليه المجامع اللغوية والهيئات العلمية عند وجود الحاجة إلى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلبها حياة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية جديدة.

ب - عوامل غير مقصودة:

تقع هذه العوامل دون قصد منا؛ منها:

* السياق المضلل:

نقصد به ذلك السياق الذي نسمع فيه الكلمة لأول مرة؛ فإننا عندما نسمع جملةً أو نقرأها، نرى الكلمات التي تشتمل عليها يفسر بعضها بعضاً؛ فإذا كانت واحدة منها غير مألوفة لنا، حاولنا بطبيعة الحال تفسيرها معتمدين على سياق النص. هذه الفكرة التي نحصل عليها بالتخمين قد تكون زائفة، ولكنها تصحح في غالب الأمر؛ لأن الكلمة نفسها تقابلنا بعد ذلك في جمل أخرى مع كلمات أخرى تحدد لنا معناها. ومن ذلك ما قالته إحدى المذيعات (البخل المدقع) لأنها تسمع هذا الوصف دائماً مع كلمة (الفقر)، وهذا من وهم السياق الذي تدور فيه هذه الكلمة.

* تغير الاسم وبقاء المسمى والعكس:

وربما تتغير مدلولات كثيرة لأن الشيء الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به، ومن ذلك كلمة (خاتم)؛ فما سمي الخاتم بهذا الاسم إلا لأنه كان ينقش عليه اسم صاحبه، ويستخدم في ختم الرسائل والوثائق والصكوك، غير أنه فقد هذه الوظيفة بعد ذلك، ولم يبق له إلا الاسم، وتغيرت بذلك دلالاته.

* سوء الفهم والقياس الخاطيء:

ومن عوامل التطور اللغوي سوء الفهم؛ ومن ذلك أن كلمة (عتيد) تطورت دلالتها في أذهان الناس إلى معنى (عتيق) أو (عنيد) بسبب القياس الخاطيء على هاتين الكلمتين.
* تطور أصوات الكلمة:

بحيث تصبح تلك الكلمة مماثلةً لكلمة أخرى لها معنى آخر؛ فإن كلمة (كماش) الفارسية بمعنى (نسيج من قطن خشن)، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فشابهت الكلمة العربية (قماش) بمعنى (أراذل الناس)، وما وقع على الأرض من فتات الأشياء ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية ذات دلالة جديدة على المنسوجات.

* اختصار العبارة:

فتؤدي كلمة واحدة منها ما كانت تؤديه العبارة كاملةً قبل اختصارها، وعندئذ تتغير دلالة هذه الكلمة، وتصبح بعد أجيال غير واضحة الصلة بينها وبين معناها الجديد. ومثال ذلك قولنا: (فلانة أدركت) أي (أدركت سن الحيض)، و(فلان مبسوط) أي واسع الرزق.
* التأقلم وكثرة دوران الكلمة في الاستعمال:

وهناك عامل آخر يسبب التطور الدلالي للكلمة؛ وهو كثرة دورانها في الحديث؛ فمعنى الكلمة يزيد تعرضاً للتغير كلما زاد استعمالها، وكثر ورودها في نصوص مختلفة؛ فمثلاً كلمة (مكتب) كانت تدل في الأصل على نوع من نسج الصوف الغليظ... ثم أطلقت على قطعة الأثاث التي تغطي بهذا النسيج، ثم على قطعة الأثاث التي تستعمل للكتابة أيًا كانت، ثم على الغرفة التي تحتوي على هذه القطعة من الأثاث، ثم على الأعمال التي تعمل في هذه الغرفة، ثم على الأشخاص الذين يقومون بهذه الأعمال، وأخيراً على أي مجموعة من الأشخاص تقوم بإدارة إحدى الإدارات أو الجمعيات. وخلق معنى جديد لا يقضي بالضرورة على المعاني السابقة؛ ففي هذا المثال يمكن لكل المعاني أن تبقى حية في اللغة إذا استثنينا المعنى الأول.

* عامل الابتذال:

يمكن للابتذال أن يصيب الألفاظ في كل لغة، لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية؛ فمثلاً كلمة (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية (رئيس الوزراء)، ثم صارت على النحو المألوف الآن.

2 - مظاهر التطور الدلالي:

- أهم مظاهر التطور الدلالي ثلاثة⁷؛ فمن أمثلة النوع الأول تخصيص كلمة الطهارة لمعنى الختان في أذهان الناس، وكذلك تخصيص كلمة (الحريم) للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كل محرم، وكذلك إطلاق كلمة (العيش) على الخبز في اللهجة المصرية وغير ذلك؛ يقول ابن فارس (ت 395هـ): "فكان مما جاء في الإسلام ذكر

المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بما سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر؛ فأما المنافق فاسم جاء الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاق البربوع، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم (فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها)، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله عز وجل، ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغتهم الدعاء⁸.

ومن أمثلة تعميم الدلالة إطلاق البأس على كل شدة، وهي في الأصل بمعنى (الحرب)، وكذلك إطلاق الورد على كل زهر، وإطلاق (البحر) على النهر والبحر وغير ذلك.

وأما تغيير مجال الاستعمال (أو ما يسمى بانتقال الدلالة؛ أي انتقال اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى مشابه أو قريب منه أو بينهما مناسبة)، فهو يحصل بطرق أهمها: الاستعارة؛ أي المجاز الذي علاقته التشبيه، والمجاز المرسل؛ وهو الذي تكون علاقته غير التشبيه كالسببية والحالية والمحلية والجزئية والكلية⁹؛ ومن أمثلته كلمة (الشجرة) بمعنى (النخلة)، و(الطير) بمعنى (الذبان)، و(الوعى) بمعنى (الحرب)، وأصلها اختلاط الأصوات في الحرب، وما إلى ذلك.

ثالثاً: التطور الدلالي بين معجم الدوحة ومعجم الشارقة

1 - الحريم:

تطورت كلمة (الحريم) دلاليًا؛ فخصّصت للدلالة على النساء بعد أن كانت تُطلق على كل حى محرم¹⁰. وقد وقف معجم الدوحة على مجموعة من الفروقات الدلالية لهذه اللفظة غير أنه لم يصل إلى أنها قد خصّصت لتدل على (النساء) فقط؛ حيث كان أول تعريف له ل(حريم المرء) بأنه (ما يقاتل دونه ويحميه كالنساء والصغار)، ومن استعملوا هذا المعنى مهلهل بن ربيعة التغلبي (ت 100 ق.هـ) سنة (134 ق.هـ) حيث قال يعدد همومه من ثأر لأخيه وصون لحريمه:

أخّ وحرِيم، سيّءٌ إن قطعته*** وسنته عزم هدمها لك هادِم¹¹

أما التعريف الثاني ل(حريم المرء) فكان يعني (ما يجب له من عهدٍ ومهابة لا يحلُّ انتهاكها). ومن شواهد ما قاله تأبط شرا الفهمي (ت 95 ق.هـ)¹²:

وذي رَجِمٍ أَحَالَ الدَّهْرُ عَنْهُ*** فليس له لدى رَجِمٍ حَرِيمٍ

وأما التعريف الثالث فكان ل(حريم المكان)؛ إذ يعني (ما أحيط به وكان من حقوقه ومنافعه)، وتم بناء هذا التعريف استنادًا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حريم البئر أربعون ذراعًا من حواليتها كلّها؛ لأعطان الإبل والغنم، وابن السبيل أول شارب)¹³.

وفي المقابل أثبت معجم الشارقة للفظة (الحريم) أنها حُصِّصت لتدل على (النساء)؛ ف(حريم الرجل: أهله ونساؤه، ومن تجب عليه حمايتهم والدفاع عنهم)، ولعل ذلك يبدو واضحًا في قول أبي عبيدة بن الجراح (ت18هـ) في حوارهِ مع خالد بن الوليد: "بل أكون أنا على الساقية، وأنت على المقدمة مع الجيش؛ فإن وصل إليك جيشُ الروم مع وردانَ يمدوك على أهبة، فتمنعهم من الوصول إلى الحريم والأولاد؛ فلا يصلون إلينا إلا وأنت قتلتَ فيهم"¹⁴.

والغالب أن معجم الدوحة قد فاته هذا المعنى بسبب اختلاف مدوّنته عنها عند معجم الشارقة.

2 - جنى الثمرة:

ذهب إبراهيم السامرائي إلى أن الأصل في (جنيثُ الثمرة) هو تناولها من الشجرة دون إذن مالِكها؛ فهو قد جنى جنائياً؛ أي ذنباً قبيحاً، ثم تطور هذا المعنى فأصبح يدل على مجرد تناول¹⁵.

أما معجم الدوحة فلم يقف عند أصل هذه العبارة، واكتفى بمعنى واحد للفعل (جنى)؛ إذ (جنى الثمر ونحوه: قطفه وجمعه)، وشاهده قول لقيط بن يَعْمُر الإيادي (ت249 ق.هـ) وهو يحدّر قومه من مكر أعدائهم:

فَهُمْ سِرَاعٌ إِلَيْكُمْ، بَيْنَ مُلْتَقِطٍ *** شَوْكًا، وَآخَرَ يَجْنِي الصَّبَابَ وَالسَّلْعَا¹⁶

وإذا التفتنا جهة معجم الشارقة نجده قد رصد المعنى الأصلي للفعل (جنى)؛ ف(جنى فلانٌ يجني جنياً وجنائياً:

أذنب)، والشواهد على ذلك كثيرة، منها شعر البراق بن رُوْحان (ت155 ق.هـ) وهو يفتخر بشجاعة قومه:

أَبْلَغُ بَنِي الْفُرْسِ عَنَّا حِينَ تَبْلُعُهُمْ *** وَحَيَّ كَهْلَانَ أَنَّ الْجُنْدَ عَافِيَهَا

لَا بُدَّ قَوْمِي أَنْ تَرْقَى وَقَدْ جَهَدْتُ *** صَعَبَ الْمِرَاقِي بِمَا تَأْتِي مِرَاقِيهَا

أَمَّا إِيَادٌ فَقَدْ جَاءَتْ بِهَا بِدْعًا *** فِي مَا جَنَى الْبَعْضُ إِذْ مَا الْبَعْضُ رَاضِيهَا¹⁷

ولم يقف معجم الشارقة عند المعنى الأصلي فحسب بل تعداه إلى معانيه المجازية، وهي كثيرة، منها أن (جنى

الثمرة ونحوها جنىً وجنياً وجنائياً وجنأً: قطفها وجمعا؛ فهو جانٍ)، ودليله ما قاله عمرو بن عدّي اللخمي (ت365 ق.هـ) يصف:

* هذا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ *

* إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ *¹⁸

والذي أراه أن معجم الدوحة لم تسعفه بعد الشواهد التي تخدم المعنى الأصلي للفعل (جنى).

3 - التثيف:

يرى محمد المبارك أن بعض الألفاظ تتطور دلالتها من معانٍ قديمة إلى معانٍ جديدة دلالةً مباشرةً بعيدةً عن المجاز، حتى إن دلالتها الجديدة المجازية تصير أقرب إلى الذهن من دلالتها الحقيقية لكثرة استعمال المعنى الجديد وانتشاره وذيوعه؛ وخاصة بعد طول العهد بهذا الاستعمال؛ ومن الكلمات التي مثل بها على ذلك: كلمة (التثيف)؛

فقد كانت تعني (تقويم اعوجاج الريح)¹⁹، والنتيجة نفسها وصل إليها معجم الدوحة التاريخي²⁰؛ إذ التثقيف هو (التقويم والتهديب)، وكان أول استعمال لهذا المعنى في السنة التاسعة قبل الهجرة، ثم تطور دلاليًا إلى مجموعة من المعاني؛ أهمها:

- تثقيف الغناء ونحوه: تحسينه وتجويده.

وشاهده قول عبد الله بن مسعود الهذلي (ت32هـ): "أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذْتُمْ دِرَاسَتَهُ عَمَلًا، وَسَيَّأْتِي قَوْمٌ يَثْقِفُونَهُ تَثْقِيفَ الْغِنَاءِ، لَيْسُوا بِخِيَارِكُمْ"²¹.

- تثقيف الشخص: إيقافه وحبسه.

أول شاهد لاستعمال هذا المعنى كان على لسان عبد الله بن بلكين بن باديس الصنهاجي (ت نحو483هـ)؛ إذ قال يذكر ما فعله الأمير يوسف بن تاشفين بعبد الرحمن بن رشيق بعدما استغاث به: "وأمر بتثقيفه وإسلامه إلى المعتمد، وقُيِّد في الحديد، ورأى هوانًا عظيمًا"²².

وأما التثقيف بمعنى (التعليم والتأديب والاجتهاد في اكتساب الثقافة) فلا وجود له في معجم الدوحة؛ والغالب أن سبب ذلك يعود إلى أن هذا المعنى لا ينتمي إلى المرحلة الثانية من عمل هذا المعجم مما هو منشور على بوابته. وفي المقابل نجد هذا المعنى الأخير على بوابة معجم الشارقة²³؛ نظرًا لاختلاف منهجي كل من المعجمين؛ فمعجم الدوحة قد بدأ منذ أسابيع قليلة في المرحلة الثالثة الممتدة من سنة 501 للهجرة إلى غاية العصر الحديث، كما اشتغل بجميع الحروف وموادها من الهمزة إلى الياء، بينما اختار معجم الشارقة أن يؤرخ للكلمة ودلالاتها من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث حرفًا حرفًا؛ ولذلك فالمنشور على بوابته لا يتعدى حرف الدال إلى حد كتابة هذه الأسطر. وهذا ما يفسر وجود كلمة (التثقيف) بالمعنى الحديث على بوابة معجم الشارقة؛ فتعريف التثقيف الذاتي هو "اعتماد المرء على نفسه في اكتساب ثقافته"؛ وشاهده ما قال أحمد مختار عمر: "التثقيف الذاتي اعتماد المرء على نفسه في اكتساب ثقافته"²⁴.

أما التثقيف بمعناه الأصلي (التقويم)، فلا أثر له في مدخل (تثقيف) بل في مدخل (ثقف)؛ إذ (ثقف الشيء: سَوَّاهُ وَقَوَّمَهُ)²⁵؛ ودليله ما قاله المهلهل بن ربيعة (ت100ق.هـ) يتوعد²⁶:

قَرَّبًا مَرْهَطَ الْمِشْهَرِ مِثِّي *** مَعَ رُوحٍ مُثَقَّفٍ عَسَّالٍ

وما يمكن استنتاجه أن معجم الدوحة يولي أهمية للجانب الاشتقاقي للكلمات؛ فيذكر التطور الدلالي للألفاظ على اختلاف وسومها بما في ذلك الفعل، ومصدره، واسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الآلة، والصفة المشبهة، وغير ذلك، بشرط وجودها في شواهد سياقية استعمالية حية.

أما معجم الشارقة، فلا يهتم بالاشتقاقات؛ حيث لا يعيد ذكر المعاني والدلالات في صيغة ما إذا سبقت الإشارة إليها في صيغة أخرى.

4 - البأس:

من نماذج تعميم الدلالة أو توسيعها كلمة (البأس)؛ فقد كانت تعني الحرب، ثم أطلقت على كل شدة²⁷- كما مرّ بنا-، غير أن معجم الدوحة قد ارتضى عكس ذلك؛ إذ قدّم معنى (الشدة) على معنى (الحرب)؛ إذ (البأس: الشدة)²⁸؛ قال مالك بن فهم الأزدي (ت قبل 150 ق.هـ):²⁹

وفي الهيّجاء كُنّا أهلَ بَأْسٍ *** قَتَلْنَا بَهْمًا وبني كُرَانِ

و(البأس: الحرب)³⁰؛ قال مهلهل بن ربيعة التغلبي (ت قبل 50 ق.هـ) يخبر عن أخيه كليب:

فلقد كُنْتُ غَيْرَ نِكْسٍ لَدَى البَأْسِ سِ، وَلَا وَاهِنٍ وَلَا مِكْسَالٍ³¹

أما معجم الشارقة فقد خالف معجم الدوحة؛ إذ قدّم معنى الحرب على معنى الشدة³²؛ وشاهده قول مهلهل بن ربيعة التغلبي (ت قبل 50 ق.هـ) يصف شجاعة أخيه كليب:

فلقد كُنْتُ غَيْرَ نِكْسٍ لَدَى البَأْسِ سِ، وَلَا وَاهِنٍ وَلَا مِكْسَالٍ

ثم تطور استعمال هذا اللفظ إلى معان عدة، منها (الشدة)؛ ودليل ذلك قول ابن الرومي (ت 283 هـ)³³:

المِستَضَاءُ الوَجْهِ فِي بُهْمِ الدُّجَى *** والمستضاء الرّأْيِ فِي الأَبَاسِ

كما رصد معجم الشارقة جملةً من المعاني المجازية للفظ (البأس) كالحرص والخوف والعذاب... ويظهر من خلال مقارنة النتيجة أن معجم الدوحة قد اهتم - فيما عدت إليه من نماذج- بالتأريخ للألفاظ أكثر من اهتمامه بتقديم الحقيقة على المجاز.

5 - الخليفة:

جاء في بعض المعاجم أن كلمة (الخليفة) قد حُصِّصَ معناها للدلالة على الحاكم الأعلى للمسلمين دينياً ودينيّاً في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، وقد كانت تعني قبل ذلك كل من يخلف غيره لموته أو لغيبته³⁴. والنتيجة نفسها وصل إليها معجم الدوحة³⁵؛ ف(خليفة الشخص: من يبقى بعده ويحل محله)؛ قال سعد بن مالك بن ضبيعة البكري (ت قبل 50 ق.هـ):³⁶

بِئْسَ الخَلِيفُ بَعْدَنَا *** أولادُ يَشْكُرُ واللِّقَاخُ

وابتداءً من السنة الثالثة قبل الهجرة، أُطلق هذا اللفظ على معنى (من جعل الله له أمر الحكم والملك)؛ قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ﴾³⁷.

ولم يتعد معجم الشارقة عن هذه النتيجة³⁸؛ إذ (الخليفة: المستخلف، ومن يقوم مقام غيره ويخلفه)؛ قال طفيل الغنوي (ت 13 ق.هـ) مادحاً³⁹:

وَكَانَ هُرَيْرٌ مِنْ سِنَانِ خَلِيفَةٍ *** وَحِصْنٍ وَمِنْ أَسْمَاءٍ لَمَّا تَعَيَّبُوا

ثم حُصِّصَ هذا اللفظ ليدل على (السلطان الأعظم، أو الإمام)؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ت11هـ): (مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ نَجَا-ثَلَاثَ مَرَاتٍ-: مَوْتِي، وَالدَّجَالَ، وَقَتْلَ خَلِيفَةِ مُصْطَفِيٍّ بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ)⁴⁰. كما كان يدل على الخلفاء الراشدين كذلك؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ت11هـ): (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ)⁴¹. وما يمكن استنتاجه من خلال هذا المثال -وأمثله أخرى مشابهة لم يتسع المقام لذكرها- أن معجم الدوحة قد وافق معجم الشارقة في أحيان كثيرة خلال رصده للتطور اللغوي للألفاظ، على الرغم من اختلاف منهجيتهما؛ ومن ذلك على سبيل المثال أن معجم الدوحة يعتمد تاريخ نزول الآيات القرآنية، ويؤرخ للأحداث النبوية الشريفة بتاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أي سنة (11هـ)، بينما يؤرخ معجم الشارقة لهما معا بتاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم (11هـ).

رابعاً: خاتمة وخلصات

على الرغم من أن الصورة النهائية لكل من معجم الدوحة والشارقة لم تكتمل بعد، واستناداً إلى هذه الرحلة مع مجموعة من الألفاظ المتطورة دلائياً من خلالهما، تمكنا من الوصول إلى النتائج الآتية:

1 - أضاف كلا المعجمين مجموعة من المعاني المجازية لما سجلته باقي المعاجم، غير أن نتائجهما قد تتفاوت أحياناً بالزيادة أو النقصان؛ وذلك ما عللته باختلاف المدونتين المعتمدتين عند كل منهما؛ ومثاله ما قيل عن لفظ (الحريم).

2 - تقدم معجم الشارقة على معجم الدوحة في الوصول إلى بعض التعاريف والمعاني؛ وتفسير ذلك أنه قد سطر لنفسه منذ البداية منهجاً يقوم على التأريخ لدلالة الكلمة بدءاً من العصر الجاهلي ووصولاً إلى العصر الحديث⁴²؛ ولذلك فإن المسجل على بوابته إلى حد كتابة هذه الأسطر لا يتجاوز حرف الدال؛ ومثاله ما قيل عن لفظة (جنى). أما معجم الدوحة فقد فضّل أن يتدرج في تعريفاته من الألف إلى الياء حسب ثلاث مراحل⁴³، أنهى منها إلى حد الآن المرحتين الأوليين، وهو بصدد الاشتغال بالمرحلة الثالثة من عمل المعجم (الأخيرة)؛ وهي تمتد إلى العصر الحديث. والذي أراه أن معجم الدوحة لم تسعفه بعدُ الشواهد التي تخدم المعنى الأصلي للفعل (جنى).

3 - يهتم معجم الدوحة بالجانب الاشتقاعي للكلمات على خلاف معجم الشارقة الذي يهمل ذلك.

4 - إن الحرص الدقيق لمعجم الدوحة على التأريخ للتطور الدلالي للألفاظ، أدى به أحياناً إلى تغييب معادلة تقدم الحقيقة على المجاز؛ ومثاله كلمة (البأس).

5 - لكل من المعجمين منهجه الخاص في رصد التطور الدلالي للألفاظ؛ ومن ذلك أن معجم الدوحة يأخذ بتاريخ نزول الآيات القرآنية، ويؤرخ للأحداث النبوية الشريفة بتاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أما معجم الشارقة ففضّل أن يؤرخ لهما معا بتاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم (11هـ).

- 6 - لا يعتمد معجم الدوحة إلا الشواهد السياقية الحية المتداولة على لسان مستعمليها، ومعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) بوصفه مصدرًا من مصادره، أما معجم الشارقة فيأخذ كذلك بالتعاريف الموجودة بالمعاجم وكتب التفسير وكتب اللغة... دون الاهتمام بالسياقات الاستعمالية.
- 7 - يفتقر تخريج الشواهد عند معجم الشارقة -أحياناً- إلى ذكر مكان وتاريخ النشر، بينما لم يبخل معجم الدوحة بذلك على متصفحها بوابته الإلكترونية.
- 8 - كثيراً ما كان معجم الشارقة يوثق شواهد الشعرية من المعاجم، في حين أن معجم الدوحة يحيل في ذلك دائماً على دواوين الشعراء.
- ختاماً، نبارك للأمة العربية هذين المعجمين كيفما كانت الدوافع وراء إنجازهما، فكلاهما مشروع علمي ضخم يستحق الشكر والتأييد والتشجيع، وكلاهما فخر الأمة العربية جمعاء.

- 1 - قوانين التطور اللغوي: نماذج من معجم الدوحة التاريخي. حليلة الخيري. أعمال مؤتمر "معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: تحولات المعنى والاستثمار في مجالات اللسانيات التطبيقية". مطبعة جامعة مولاي إسماعيل. مكناس. المغرب. 2023. ج 1. ص 242.
- 2 - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. المقدمة. تاريخ الرجوع إلى البوابة الإلكترونية هو: 26 فبراير 2023.
- 3 - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. المقدمة. تاريخ الرجوع إلى البوابة الإلكترونية هو: 26 فبراير 2023.
- 4 - معجم الشارقة. المقدمة (كلمة حسن الشافعي: رئيس اتحاد المجامع). تاريخ الرجوع إلى البوابة الإلكترونية هو: 26 فبراير 2023.
- 5 - معجم الشارقة. المقدمة (كلمة مأمون عبد الحليم وجيه: المدير العلمي لمعجم الشارقة). تاريخ الرجوع إلى البوابة الإلكترونية هو: 26 فبراير 2023.
- 6 - لحن العامة والتطور اللغوي. رمضان عبد التواب. زهراء الشرق. القاهرة. 2000. ص 63، والتطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه. رمضان عبد التواب. الخانجي. القاهرة. 1997. ص 189، وعوامل التطور اللغوي. أحمد عبد الرحمن حماد. دار الأندلس. الطبعة الأولى. 1983. ص 161.
- 7 - لحن العامة والتطور اللغوي. رمضان عبد التواب. ص 63.
- 8 - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. أحمد ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1997. ص 45.
- 9 - فقه اللغة وخصائص العربية. محمد المبارك. دار الفكر. دون تاريخ. ص 220 - 221.
- 10 - التطور اللغوي. مظاهره وعلله وقوانينه. رمضان عبد التواب. ص 196.
- 11 - ديوان المهلهل. شرح وتحقيق أنطوان محسن القوّال. دار الجليل. بيروت. الطبعة الأولى. 1995. ص 76.
- 12 - ديوان تأبط شرا وأخباره. جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1984. ص 204.
- 13 - معجم الدوحة. جذر (حرم). فرع (حريم). شوهدي في: 20 أكتوبر 2022.
- 14 - معجم الشارقة. جذر (حرم). فرع (حريم). شوهدي في: 20 أكتوبر 2022.
- 15 - التطور اللغوي التاريخي. إبراهيم السامرائي. ص 44.
- 16 - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. جذر (جني). فرع (جني). تاريخ الرجوع إلى البوابة الإلكترونية لمعجم الدوحة هو: 23 أكتوبر 2022.
- 17 - ديوان البراق بن روحان. تحقيق أحمد عطية. مركز الباطين لتحقيق المخطوطات الشعرية. مصر. الطبعة الأولى. 2017. ص 20.
- 18 - معجم الشارقة التاريخي. جذر (جني). فرع (جني). تاريخ الرجوع إلى البوابة الإلكترونية لمعجم الشارقة هو: 23 أكتوبر 2022.
- 19 - فقه اللغة وخصائص العربية. محمد المبارك. دار الفكر. دون تاريخ. ص 221.
- 20 - معجم الدوحة. جذر (ثقف). فرع (تثقيف). شوهدي في: 18 مارس 2023.

- 21 - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد. أبو طالب المكي. حققه وقدم له وعلق على حواشيه: محمود إبراهيم محمد الرضواني. مكتبة دار التراث. القاهرة. الطبعة الأولى. 2001. ج 1. ص 405.
- 22 - مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب (التبيان). عبد الله بن بلكين بن باديس الصنهاجي. نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال. دار المعارف. مصر. 1955. ص 112.
- 23 - معجم الشارقة. جذر (ثقف). فرع (تثقيف). شوهد في: 18 مارس 2023.
- 24 - معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عمر. ج 1. ص 319.
- 25 - معجم الشارقة. جذر (ثقف). فرع (تثقف). شوهد في: 18 مارس 2023.
- 26 - ديوان المهلهل بن ربيعة. ص 74.
- 27 - لحن العامة والتطور اللغوي. رمضان عبد التواب. ص 63.
- 28 - معجم الدوحة. جذر (ب ء س). فرع (بأُس). شوهد في: 24 مارس 2023.
- 29 - شعراء عمان في الجاهلية وصادر الإسلام. جمع وتحقيق أحمد محمد عبيد. المجمع الثقافي. أبو ظبي. 2000. ص 84.
- 30 - معجم الدوحة. جذر (ب ء س). فرع (بأُس). شوهد في: 24 مارس 2023.
- 31 - ديوان المهلهل. ص 74.
- 32 - معجم الشارقة. جذر (ب ء س). فرع (بأُس). شوهد في: 24 مارس 2023.
- 33 - ديوان ابن الرومي. تحقيق أحمد بسج. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة. 2002. ج 2. ص 201.
- 34 - دراسات في الدلالة والمعجم. رجب عبد الجواد إبراهيم. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 2001. ص 96.
- 35 - معجم الدوحة. جذر (خلف). فرع (خليفة). شوهد في: 25 مارس 2023.
- 36 - شرح ديوان الحماسة. أبو علي المرزوقي. نشره أحمد أمين وعبد السلام هرون. دار الجيل. بيروت. الطبعة الأولى. 1991. ج 1. ص 505.
- 37 - سورة ص. الآية 26.
- 38 - معجم الشارقة. جذر (خلف). فرع (خليفة). شوهد في: 25 مارس 2023.
- 39 - ديوان طفيل الغنوي. تحقيق حسن فلاح أوغلي. دار صادر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1997. ص 53.
- 40 - مصنف بن أبي شيبة. تحقيق الحوت. ج 7. ص 490.
- 41 - المدونة الكبرى. رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي. طبعة وزارة الأوقاف السعودية. مطبعة السعادة. دون تاريخ. ج 5. ص 296.
- 42 - يشتغل مشروع الشارقة وفق مجموعة من العصور الزمنية، هي:
- * عصر ما قبل الإسلام (ثلاثة قرون).
- * العصر الإسلامي: من 1 إلى 132 للهجرة.
- * العصر العباسي: من 133 إلى 656 للهجرة.
- * عصر الدول والإمارات: من 657 إلى 1213 للهجرة.
- * العصر الحديث: من 1214 للهجرة إلى وقتنا الحالي.
- ينظر في ذلك مقدمة معجم الشارقة على البوابة الإلكترونية.
- 43 - ارتأى مشروع الدوحة أن يشتغل وفق ثلاثة مراحل زمنية فرضتها مدونته؛ هي:
- * المرحلة الأولى: من أقدم نص موثق إلى سنة 200 للهجرة.
- * المرحلة الثانية: من سنة 201 للهجرة إلى سنة 500 للهجرة.
- * المرحلة الثالثة: من سنة 501 للهجرة إلى وقتنا الحالي.
- ينظر في ذلك مقدمة معجم الدوحة التاريخي على البوابة الإلكترونية.

المصادر والمراجع:

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - معجم الدوحة <https://dohadictionary.org>
- 3 - معجم الشارقة <https://www.almojam.org>
- 4 - التطور اللغوي التاريخي. إبراهيم السامرائي. دار الأندلس. بيروت. لبنان. 1981.
- 5 - التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه. رمضان عبد التواب. الخانجي. القاهرة. 1997.
- 6 - دراسات في الدلالة والمعجم. رجب عبد الجواد إبراهيم. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 2001.
- 7 - ديوان ابن الرومي. تحقيق أحمد بسج. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة. 2002.
- 8 - ديوان البراق بن روحان. تحقيق أحمد عطية. مركز الباطين لتحقيق المخطوطات الشعرية. مصر. الطبعة الأولى. 2017.
- 9 - ديوان تأبط شرا وأخباره. جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1984.
- 10 - ديوان طفيل الغنوي. تحقيق حسن فلاح أوغلي. دار صادر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1997.
- 11 - ديوان المهلهل بن ربيعة. شرح وتحقيق أنطوان محسن القوال. دار الجيل. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1995.
- 12 - الشعراء الجاهليون الأوائل. عادل الفريجات. دار المشرق. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. 2008.
- 13 - شعراء عمان في الجاهلية وصدر الإسلام. جمع وتحقيق أحمد محمد عبيد. المجمع الثقافي. أبو ظبي. 2000.
- 14 - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. أحمد ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1997.
- 15 - عوامل التطور اللغوي. أحمد عبد الرحمن حماد. دار الأندلس. الطبعة الأولى. 1983.
- 16 - فقه اللغة وخصائص العربية. محمد المبارك. دار الفكر. دون تاريخ.
- 17 - قوانين التطور اللغوي: نماذج من معجم الدوحة التاريخي. حليلة الخيروني. أعمال مؤتمر "معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: تحولات المعنى والاستثمار في مجالات اللسانيات التطبيقية". مطبعة جامعة مولاي إسماعيل. مكناس. المغرب. 2023.
- 18 - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد. أبو طالب المكي. حققه وقدم له وعلق على حواشيه: محمود إبراهيم محمد الرضواني. مكتبة دار التراث. القاهرة. الطبعة الأولى. 2001.
- 19 - لحن العامة والتطور اللغوي. رمضان عبد التواب. زهراء الشرق. القاهرة. 2000.

- 20 - المدونة الكبرى. رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي. طبعة وزارة الأوقاف السعودية. مطبعة السعادة. دون تاريخ.
- 21 - مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب (التبيان). عبد الله بن بلكين بن باديس الصنهاجي. نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال. دار المعارف. مصر. 1955.
- 22 - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي أبو بكر. تحقيق كمال يوسف الحوت. دار التاج. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1989.
- 23 - معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. عالم الكتب. الطبعة الأولى. 2008.

